الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اِقتَرَبَتِ السَّاعَةُ ولا يَزدَادُ النَّاسُ على الدُّنيا إلا حِرصَاً، ولا يَزدَادُونَ من الله إلا بُعدَاً.

السلسلة الصحيحة .

المعنى الاجمالي :

قال عليه الصلاة والسلام (اقتربت الساعة ولا تزداد منهم إلا بعدا) يعني في تصرفهم, في عدم استعدادهم لقيام الساعة وكأنما الساعة عندهم لا تزداد إلا بعدا لذلك هم لا يهتمون وإنما يهتمون على عكس ما يستلزمهم هذا الإنذار الرباني من قوله ((اقتربت الساعة)) من الاستعداد للموت والعمل الصالح فهم على خلاف ذلك لا يزدادون إلا حرصا على الدنيا وجمعا لها وتكالبا عليها وبذلك فهم لا يزدادون من الله إلا بعدا ويجب أن يعلم كل مسلم أن الله عز وجل حينما يخبرنا باقتراب الساعة ودنو أشراطها الصغرى فضلا عن الكبرى فإنما يعني بذلك إنذار الأحياء أن تدركهم الساعة قبل أن يتوب التائب منهم وقبل أن يرجع الشقي عن عمله الطالح إلى العمل الصالح فقوله عز وجل ((اقتربت الساعة)) في معنى استعدوا لها فالساعة قريبة.

أن حساب الناس اقترب، وأن يوم القيامة دنا منهم، وأنهم مع ذلك لاهون غافلون منغمسون فيما هم فيه، منغمسون من أمر الدنيا، منشغلون بها وليسوا منشغلين بما ينتظرهم من هول هذا اليوم العظيم وما يتلوه من حساب ومصير.

هذا الحساب الذي اقترب . إخوة الإيمان . وهذا الأمر الذي أتى وهذه الآزفة التي أزفت ماذا أعددنا لها؟ وبماذا سنلقاها؟ لا تُعِدُّوا لها الأموال فإن الأموال لن تجدي، ولا تُعِدُّوا لها الأملاك فإنها لن تجدي، ولا تُعِدُّوا لها الجاه والسلطان فإنه لن يُجدي، ولا تُعِدُّوا لها الأجسام الفتية والمنظر والقوام الجميل فإنه لن يجدي، أعدوا لها . رحمني الله وإياكم . الإيمان والعمل الصالح، واعلموا أنها آتية لا محالة، وليسأل كل مقصر نفسه: يومها ماذا أقول؟!

عندما نذكر يوم الحساب أو يوم القيامة هذا اليوم العظيم إنما نحاول أن نحييَ موات أنفسنا ونُلِين قسوة قلوبنا، ونحاول أن نستدرك بالعمل الصالح والتوبة قبل فوات الأوان، فالناظر في أحوالنا لا يرى وجودًا لهذا اليوم العظيم في قاموس حياتنا، ولا استعدادًا له أو خوفًا منه.

فالمقصود ليس مجرد الخوف والشفقة من هذا اليوم أو الحديث عنه بين الحين والآخر؛ إنما المقصود إعداد العدة لهذا اليوم بقلوب سليمة وأعمال صالحة، هذا هو الخوف الحقيقي من هذا اليوم، وهذا هو الخوف النافع في هذا اليوم، فالله ينفي النفع في هذا اليوم عن أيّ مكسب من مكاسب الدنيا، ويجعل النفع فقط فيما حصلته القلوب السليمة من إيمان وعمل صالح، يقول سبحانه: يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [الشعراء: 88، 89]. إذا عبَّدت قلبك وجسدك لله سبحانه ووحّدت الله حق توحيده وعبدته حق عبادته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه تكون بالفعل خائفا من هذا اليوم مدركًا لخطورته وعظمته، إننا لو قدّرنا هذا اليوم حق قدره وعرفنا هوله وشدته مَا هنأنا بعيش ولا تلذذنا بدنيا.

لنتذكر حين نتنافس في جمع الدنيا ونتسابق على حطامها، أن أصحاب رسول الله الذين هم خير الناس وأفضل القرون، كانوا يتنافسون على العمل الصالح.

وهناك مظاهر وسمات تدل على تنافس الدنيا، وأهم هذه المظاهر وتلك السمات:

1 – إهمال أو إهدار الورع في المطاعم، والمشارب، والملابس، والمراكب ونحوها.

2 – بغض طلاب الآخرة، والنيل منهم، بل والتظاهر والتحريف عليهم بوسيلة أو بأخرى.

3 – بغض أو معاداة كل من يسبقه في الدنيا، ولا يستطيع اللحاق به.

4 – ازدراء نعمة الله وعدم الرضى بها وبقضاء الله وقدره.

5 – المخاصمة المستمرة على الدنيا وما فيها من متاع أو عرض زائل.

6 – التشتت الدائم مع كثرة الهموم والأحزان، ولا سيما عند فوات شيء من الدنيا.

7 – الاشتغال الدائم بالسعي في طلب الدنيا مع نسيان الآخرة بالمرة أو مع تذكرها، ولكن بتهاون وفتور.

8 – الحديث الدائم عن الدنيا، وزخارفها، وزيناتها، وسبل اقتناصها.

علاج تنافس الدنيا:

1– اليقين التام بأن حظوظ الدنيا تجري بالمقادير، وأنه مهما أتعب المرء نفسه، وتكالب على الدنيا، وتبارى مع الآخرين في تحصيلها أو نيل حظ منها، فإنه لن يصل إلى شيء فوق ما قسم الله.

2– البصيرة التامة بحقيقة الدنيا، وأنها ليست غاية أو هدفا، وإنما هي وسيلة لغاية وهدف.

3– أن ينزع المسلم نفسه أو أن ينتزعه الآخرون من الوسط الحريص على الدنيا المتنافس فيها، ثم يلقي بنفسه في وسط من يريدون الله ورسوله، والدار الآخرة.

5– أن يعدل من نظرته إلى إقبال الدنيا بحيث لا يراها مجالا للتنافس، وإنما يراها فتنة يخاف على نفسه منها.

6– أن يمعن النظر في كتاب الله وسنة وسيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ليرى ماهية وحقيقة الدنيا في جنب ماهية وحقيقة الدار الآخرة.

الفوائد :

1- نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن التطلع إلى الدنيا وفتنتها، قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف: 28]

2- بيّن تعالى أن ما يعطيه الكفار من نعم الدنيا، إنما ذلك لهوان الدنيا عنده وحقارتها، وابتلاء لهم وفتنةً، قال تعالى: ﴿ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة: 55].

3- قال علي رضي الله عنه- وهو يصف الدنيا – أولها عناء وآخرها فناء، حلالها حساب، وحرامها عقاب، من صح فيها أمن، ومن حرص ندم، ومن استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن ساعاها (أي سعى إليها) فتنته، ومن قعد عنها أتته، ومن نظر إليها أعمته، ومن نظر بها (أي اعتبر بها) بصّرته.

4- إن التنافس في الدنيا قد أوقع الناس في الشح الذي حملهم على قطع الرحم وعقوق الآباء، والإساءة إلى الجيران، ولم يعد مسلم يعرف لأخيه المسلم حقا بسبب التنافس في الدنيا، ولذلك حذر الإسلام من التنافس في الدنيا، ورغب المسلمين في طلب العلو في الآخرة.

5- العاقل من حرص على طلب العلو والرفعة في الآخرة، فإن من طلب العلو في الآخرة نال العلو في الدنيا، ومن طلب العلو في الدنيا، فقد العلو في الآخرة، فلم تحرص يا عبد الله على الدنيا وحدها؟ اطلب الآخرة تأتك الدنيا معها، فإذا طلبت الدنيا وحدها فاتتك الآخرة ولم يأتك من الدنيا إلا ما قسم الله لك.

6- الحريص على الدنيا دائم الهموم مستديم الغموم، لا يقنع برزقه، ولا يطمئن لقضاء الله وقدره؛ فذُلُّه قائمٌ لا يزول، وفاقته حاضرة لا تعرف الأفول .

7- قال ابن القيم : «إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده تحمل الله عنه – سبحانه – حوائجَه كلها، وحمل عنه كل ما أهمه، وفرغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته، وإن أصبح وأمسى والدنيا همُّه حمَّله الله.....

همومها وغمومها وأنكادها، ووكله إلى نفسه؛ فشغل قلبه عن محبَّته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم؛ فهو يكْدح كدح الوحوش في خدمة غيره.

8- إن هذا العبد نسي ربه وأقبل على الدنيا مجلاً لها ومكرما ،فعظم ما لا يستحق التعظيم ، واستهان بما يستحق التعظيم والإجلال والتكريم، فلذلك كانت عاقبته من أسوأ العواقب.

9- أعظم سبب للسعادة في الدنيا والآخرة يكمن في الإقبال على الله تعالى، والاستسلام له سبحانه، والانقياد لشريعته، والقبول بأحكامه، والإذعان لأوامره. وأعظم سبب للشقاء في الدنيا والعذاب في الآخرة الإعراض عن الله تعالى، والاستنكاف عن عبادته، ورفض الخضوع لشريعته، والاعتراض على أحكامه وأوامره .

10- الإعراض عن الله تعالى وعن شريعته سبب لنزول العذاب في الدنيا، ورفع العافية، وإبدال النعم نقما، كما أخبر الله تعالى عن قوم سبأ وما هم فيه من نعيم الدنيا، ثم تحولت العافية عنهم، وأُبدل حالهم من النعمة إلى النقمة بسبب إعراضهم {فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ} [سبأ:16].

11- أعظم عقوبة دنيوية تصيب أهل الإعراض عن الله تعالى أن يطمس على قلوبهم فلا تعي الذكر، ولا تبصر الحق، ولا يسير أصحابها فيما ينفعهم، بل يرتكسون في الكفر، ويرتمسون في النفاق والاستكبار، ويجادلون بالباطل .

12- جعل الله تعالى أهل الإعراض أظلم عباده، فلا أحد أشد ظلما منهم، وأخبر سبحانه أن قلوبهم مغطاة فلا تفقه التذكير، وأن آذانهم صم عن سماعه، فلا يهتدون بالقرآن مهما دعوا إليه، ومهما ذكروا به؛ وما ذاك إلا عقوبة من الله تعالى لهم على إعراضهم عنه سبحانه وتعالى.

13- أهل الإعراض متوعدون بانتقام الله تعالى منهم، وأتعس الناس من انتقم الله تعالى منه {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} [السجدة:22].

والله اعلم .....وصلى الله على نبينا محمد وعلى آل وصحبه وسلم .

اِقتَرَبَتِ السَّاعَةُ ولا يَزدَادُ النَّاسُ على الدُّنيا إلا حِرصَاً





أخي الكريم ساهم في الدعوة إلى الله بنسخ هذه المطوية وتوزيعها عسى أن تكون لك حسنة جارية والدال على الخير كفاعله .

أعدها (عزمي إبراهيم عزيز)